

مجلة ربع سنوية – العدد السادس عشر – يناير ٢٠١٤

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية





SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
إسماعيل سراج الدين
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خالد عزب

سكرتير التحرير
سوزان عابد

المراجعة
والتصحيح اللغوي
أحمد شعبان
رانيا محمد يونس

التصميم والإخراج الفني
ماري يوسف

الإسكندرية، يناير ٢٠١٤

الفهرس



الزقازيق بعيون سكندرية

جولة حرة داخل المدينة عام ١٩٣٨

الدكتور عمرو عبد العزيز منير



بعض الأدباء والمثقفين الذين ارتحلوا إلى الشرقية في النصف الأول من القرن العشرين أرادوا أن يعبروا عن تجربتهم من زاوية «مشكلة تكوين صورة» وكان ذلك أيضًا شأن المصور الفوتوغرافي الذي أراد التقاط صورة للأشياء على نحو ما هي عليه بالضبط – للشرقية نفسها في واقعها الفعلي والحيوي – ففي صيف (سنة ١٩٣٨م) ترك لنا أحد السكندريين الأدباء مقالة قيمة بمجلة مدرسة الزقازيق الثانوية الأميرية مسجلاً فيها انطباعه عن الزقازيق فكانت مقالته بمثابة وصف تصويري لها نابعًا من واقع المشاهدة والتجربة الذاتية مما جعل من سطور مقالته أتم صورة ترسم حتى الآن لحياة الزقازيق في النصف الأول من القرن الماضي؛ ليس باستخدام اللغة التصويرية المجازية وإنما بفضل الوصف البسيط الواضح الذي استخدمه أستاذ اللغة الغربية: عبد العزيز أفندي فياض (كاتب المقال) الذي جعل الأشياء تتمثل حية أمامنا.

في (٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨م) نام عبد العزيز أفندي فياض في تلك الليلة مبكرًا ! ونامت الشرقية، مع أننا مازلنا في الصيف، في الواقع نحن في شهر أكتوبر. ومازلنا في وقت مبكر الساعة السابعة مساءً. وفي هذا اليوم .. كانت قد مضت ١٠٦ سنة على بناء الزقازيق و٢٧سنة على وفاة عرابي و٥٧ سنة على مقولته الشهيرة: «لقد خلقنا الله أحرارًا ولم يخلقنا تراثًا وعقارًا ..» و١٨ سنة على قيام طلعت حرب بإنشاء بنك مصر.

مرة أخرى نحن مازلنا في ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨م الجو حار، وإن كان هادئًا. وتلك الزقازيق على الحال التي رأيناها فيه، إلى أن نامت مبكرة في تلك الليلة حين فارق عبد العزيز أفندي فياض مدينته الإسكندرية – عروس البحر الأبيض المتوسط – كما كان ينعتها وقصد حاضرة مديرية الشرقية. منذ ذلك الحين لم ينسَ يوم قدومه إلى الزقازيق للمرة الأولى.

في هذا المساء لم يكن الضيف السكندري يتوقع أن ما كتبه سنة (١٩٣٨م) عن الزقازيق لم يتغير كثيرًا! وأنه لن يعنيها وحدها؛ فالزقازيق ليست المعنية فقط إنها مأساة الزقازيق وأخواتها، فهي العاصمة بالتاريخ والجغرافيا، بالفروسية والقوة، جزء من وطن القهر الذي كتم حسرته وتحجرت مآقيه الدموع، نهبوا إمكاناته فاستحضر تراثًا لملء فراغ الجوع، رهنوا مقدراته فاستقوى بتاريخه على حاضر ومستقبل فرض عليه الخنوع واستمر كيد الزمارين فما بين آلام أبناء عاقين وضغوط لصوص معتدين اختصروا الشرقية في تكية فالمتعاون قهرًا والمتعاون عمدًا وثالث رآها وسيةً لا تستقيم إلا بالمحافظة على حمل ما خف وزنه وثقل ثمنه. وتصمد الشرقية أمام واقعها الواهن وحواسها تصبوا إلى أياد تتلاقى تدفع العجز وتزيل التجاعيد تبحث عن ذاتها وأخواتهاً. عن الزقازيق الشهيرة بكرمها على الغرباء.

ومرة أخرى يصحبنا السكندري عبد العزيز أفندي في رحلته ويحدثنا عن مرارة تجربته قائلاً: «أقلني قطار الصباح السريع إلى طنطا، ومنها استقللت قطارًا آخر يمر بميت غمر ويقف على جميع المحطات بين طنطا والزقازيق ولذا يقطع المسافة في أكثر من ساعة ونصف، سار بي القطار وهو يطوي الأرض وسط المروج وأنا غارق في لجج من الأفكار والأحلام، هائم في بيداء الخيال والأوهام، أسبح تارة في ذكريات الماضي السحيق وأهيم أخرى في تقلبات الحاضر القريب وبغتة جمح جواد تخيلي وأطلق لنفسه العنان نحو الزقازيق فتصورتها في شتى ألوان الصور والأشكال. فتارة كنت أرها على نسق مدينة طنطا قد جمعت بين أبهة المدن وعظمتها وبساطة الريف وجماله، وتارة أتخيلها كالمنصورة في بهائها وروعتها وسحر موقعها وطبيعتها ثم أعود فأتصورها في شكل أروع من هذه وتلك من حيث البناء والتكوين والانسجام نظرًا لحداثة نشأتها وأهمية موقعها. ولا عجب إذ نحا خيالي هذا النوع من الموازنة والتفكير. فالزقازيق تعد بحق مفتاح مصر من الجهة الشمالية الشرقية وحاضرة مديرية من أهم مديريات الوجه البحري. وهي في الواقع من أحدث المدن المصرية إذ نشأت في عهد محمد علي باشا، على أثر بناء القناطر المعروفة الآن بالقناطر التسع. ومهمتها توزيع مياه بحر مويس لري أراضي الشرقية؛ وقد وصفها علي باشا مبارك في كتابه الخطط التوفيقية الجديدة. ومن هذا الوصف نستطيع أن نكون صورة حقيقية للمدينة في عهد نشأتها.

فعندما شرع المهندسون في بناء القناطر السابقة الذكر اضطر العمال والمستخدمون أن يستحدثوا أكواخًا من الطين وأخصاصًا من القصب على جانبي بحر مويس لإقامتهم. وتبعهم في ذلك باعة المأكولات. ثم تكاثرت الناس شيئًا فشيئًا فازداد البيع وكثر بناء المساكن. وبعد الانتهاء من إقامة تلك القناطر سنة ١٨٣٠م/ ١٢٤٨هـ بقيت تلك الخصاص والمساكن عامرة حتى صدر الأمر العالي بالبناء والتجديد فكثر البناء باللبن والآجر وعندئذ أقيمت المنازل الفاخرة والقصور المشيدة بالمونة والبياض والشبابيك والشيش والزجاج. ثم بنى ديوان المديرية بها، وهكذا انتقلت الشهرة من مدينة (بلبيس) المعروفة قديمًا (ببسة) إلى هذه المدينة.

خطرت لي كل هذه الخواطر وأنا جالس في القطار فتكونت في مخيلتي صورة رائعة لمدينة الزقازيق الناشئة التي طفرت دفعة واحدة فأصبحت مدينة تجارية عظيمة تضم هذا العدد الموفور من المحالج والمطاحن والمصانع، فتزداد مبانيها وعمائرها وأهلها يومًا بعد يوم ولاسيما بعد إنشاء السكة الحديدية بها. ثم حاولت أن أتصورها في عهدها الحالي وقد نمت وأينعت واكتمل شبابها وفتوتها بعد أن ولى عهد طفولتها.

استيقظت من أحلامي على صوت صفير القطار مؤذنًا بسلامة الوصول فهرعت مع الركاب إلى النزول وسرت خلف الحمال الذي رفع حقائبي على كتفيه بعد أن طلبت منه أن يرشدني إلى فندق نظيف أبيت فيه. سرنا جميعًا وأنا



أتلفت ذات اليمين وذات الشمال فلا أرى أثرًا مما صوره لي الوهم والخيال. ثم نزلنا على درج يؤدي إلى قبو ممتد في قطاع عرضي تحت قضبان السكة الحديدية ويفضي إلى أجزاء المدينة المترامية الأطراف على جانبي المحطة. وما خرجت من هذا القبو ووطئت قدماي أرض المدينة حتى حرت في أمري. وعبثًا ظللت أطيل النظر هنا وهناك علني أظفر برؤية وجهة المحطة وميدانها. وأخيراً أيقنت أنه ليس للزقازيق محطة كسائر البلاد الأخرى؛ فالإسماعيلية، وطنطا، والمنصورة، والمحلة الكبرى، والقاهرة، والإسكندرية، وكثير غيرها من بلاد القطر المصري تمتاز بمحطات ذوات وجهات منسقة تنسيقًا بديعًا تشرف على ميادين وحدائق يرتاح لرؤيتها المسافر المقبل ويأسف على فراقها المسافر المدبر. ولكن الزقازيق خلت من كل ذلك وما هي في رأيي إلا مواصلة للسكك الحديدية تمر بها خطوط تسير في اتجاه بنها وطنطا والمنصورة وبورسعيد ويحيط بها سور من البناء يمتد إلى مسافة بعيدة وأمامها كوخ خشبي لصرف التذاكر يقع عند بداية شارع عباس المعروف بشارع «البوستة» ، وشهرته هذه ترجع إلى أن مكتب البريد كان يقع فيه منذ بضع سنين ثم انتقل إلى داره الحالية بالشارع التوفيقي على شاطئ بحر مويس الشرقي.

كلوت بك في الزقازيق

ويجدر بي قبل الانتقال من هذه النقطة ألا أغفل الغرض الذي توخيته من وصفي لمحطة الزقازيق فهذه المحطة قد تكون لا غبار عليها إذا نظرنا إليها من الداخل ولاسيما أن محطة البضائع منفصلة عنها كسائر المحطات الكبرى، ولكن أكبر عيوبها في الواقع افتقارها إلى وجهة تشرق على ميدان رحب تقف فيه السيارات والعربات لاستقبال المسافرين كما هو الحال في أغلب المحطات، وهذا في نظري أهم مشروع يمكن أن تجمل وتزدان به مدينة الزقازيق.

ولنعد إلى شارع عباس فأقول إن أهل الزقازيق ينظرون إلى هذا الشارع كما ينظر أهل القاهرة إلى شارع فؤاد أو أهل الإسكندرية إلى شارع شريف. ومن الغريب أن هذا الشارع لا يستحق -كما يبدو لي - كل هذه الشهرة وكل هذا الإجلال. فإذا تغاضينا عن قربه من المحطة نراه شارعًا عاديًا غير رحب يقطعه السائر على الأقدام في أقل من ثلاث دقائق، ومبانيه متوسطة وقديمة. وإذا استثنينا شركة مصنوعات بنك مصر فليس فيه من المحال التجارية ما يستحق الذكر وكل ما يمتاز به هذا الشارع ويسترعي الأنظار هو شرفات مستطيلة خشبية ترتكز على أعمدة خشبية وتمتد بامتداد وجهة المنازل.

وليس معنى هذا أن الزقازيق خالية (بالمرة) من الشوارع الكبيرة والأسواق التجارية الهامة فقد استحدثت هندسة التنظيم فيها شارعًا ليس له نظير في أمهات المدن المصرية هو شارع المنتزه العظيم الذي يبدأ من محطة البضائع وينتهي عند ترعة الوادي، وتتوسطه متنزهات مستطيلة الشكل فتقسمه





إلى طريقين وتزيده بهجة وروعة ويضاء ليلاً بمصابيح كهربائية قوية ركبت على أعمدة من الرخام الصناعي (مزايكو) ترتكز على قواعد من الأسمنت المسلح صنعت في شكل هندسي بديع وسيكون لهذا الشارع فيما بعد أثر كبير في تجميل المدينة وذلك كلما تكاثرت وازدادت العمائر والأبنية الفخمة الشاهقة على جانبيه. وما يتلو ذلك من فتح المحال التجارية والمقاهي والملاهي. ويعتبر هذا الشارع بحق من أهم مشروعات هندسة التنظيم في المدينة فأنه يشهد بحسن الذوق والبراعة والتفاني في خدمة المدينة. والدليل على ذلك ما كان عليه هذا الشارع منذ سنوات قلائل؛ فقد كان جسرًا مرتفعًا من الأرض تجتازه قضبان السكة الحديدية وتقف فيه عربات البضائع للشحن والتفريغ، أو بعبارة أخرى كان مخزنًا لمحطة البضائع وكانت القاذورات والأتربة مكدسة على جانبيه.

أما بناء المديرية والبندر فيقع في شارع رحب له مماشٍ جانبيه مسقوفة تسمى «بواكي» على نسق شارعي كلوت بك ومحمد علي بالقاهرة. غير أنه محدود الطول وفيه مخازن الأقمشة القطنية والصوفية.

ومن الشوارع الهامة بالزقازيق شارع مولد النبي، والحريري؛ وهو كثير الشبه بشارع عباس في شرفاته الخشبية المستطيلة، وفيه تقع دار الخيالة وهي الدار الوحيدة المحترمة في المدينة وإن كانت في نظري لا تضارع دور السينما المتوسطة في كثير من المدن المصرية، سواء في البناء أو في الأجهزة أو في مكبر الصوت – وهذا أيضًا عيب ظاهر من عيوب الزقازيق؛ فالمقيمون بها في أشد الحاجة إلى دار محترمة للصور المتحركة. وقد أسست دار أخرى في شارع المنتزة ولكنها لا تستحق الذكر.

ومن عيوب الزقازيق كثرة الغبار والتراب في فصل الصيف، وكثرة الوحل والطين في الأيام المطيرة. لذا كانت شوارعها وأزقتها في أشد الافتقار إلى التمهيد والتعبيد والكنس والرش والبلدية هنا لا تألو جهدًا في القيام بواجباتها على الوجه الأكمل. فقد قامت هذا العام برصف وتعبيد جانب من الشوارع الهامة ولكنها في حاجة إلى المال لإتمام الجزء الأكبر منها.

وقد أمكن الآن للزقازيق بعد عدة محاولات مخفقة سببت إفلاس بعض المقاولين أن تضم إلى باطنها مثل ما في بطون المدن الكبيرة من المجاري التي تتوقف عليها حالة المدينة الصحية ونظافة شوارعها وأزقتها والتقليل من رطوبة أراضيها ومبانيها.

ويا حبذا العمل لو بادر أصحاب الأملاك إلى إيصال مجاري منازلهم بهذه المجاري العمومية لتصريف ماء المنازل إليها؛ محافظة عليها وعلى صحة ساكنيها. فان رطوبة البناء تفضي إلى إخلاله وتفتت الأحجار – ولذلك لا يعمر البناء طويلاً – كما أنها تؤدي إلى برودة الحجرات وعلى الأخص في الشتاء مما يضر بالآهلين ضررًا بالغًا. وقد لاحظت عادة سيئة منتشرة بين أصحاب المنازل الصغيرة وهي انتهاز فرصة المطر وتوحل الشوارع لإلقاء الماء القذر في الأزقة والحارات وبذلك يزيدون الطين بلة ويساعدون على استمرار الوحل أيامًا حتى بعد جفاف معظم الشوارع. ولابد أن هذه العادة السيئة ستزول بطبيعتها عند ربط مجاري هذه المنازل بالمجاري العمومية.

أما بحر مويس فهو أهم ترعة تعتمد عليها الزقازيق في ري أراضي الشرقية وإمداد السكان بماء الشرب بعد ترشيحه. ويجف ماء هذه الترعة مدة أربعين يومًا تقريبًا تبدأ من نهاية شهر ديسمبر فتستمد المدينة ماء الشرب في خلال فترة الجفاف من الماء الباطني فيتغير طعم الماء في هذه المدة ولا يكاد يستسيغه الشارب دون تبريد أو إضافة بعض ماء الزهر أو الورد إليه. ويحف ببحر مويس شارعاه الشرقي والغربي. وتقع المدرسة الثانوية الأميرية ودار البريد والمصارف الهامة كالمصرف الأهلي ومصرف (بنك) مصر، ومصرف باركليز، ومصرف التسليف الزراعي، ونادي رابطة الموظفين، ودار الكتب، ووابور النور، والحدائق العامة على الجانب الشرقي. وعلى الجانب الغربي



تقع المدرسة الابتدائية الأميرية، ودار المدير، ومصلحتا المباني ومشروعات الري. وللجانب الشرقي أهمية أخرى لأهل الزقازيق فهو طريق منازلهم إذا أشتد قيظ الشمس يسلكه الناس زرافات ووحداناً في أيام العطلة والأعياد. وعند الغروب في أيام الصيف لاستنشاق الهواء الطلق والاستراضة في حدائق البلدية الواقعة بجوار وابور النور، وهذان الشارعان في أشد الحاجة لعناية هندسة التنظيم لشدة ما يعانيه المارة من التراب والغبار في الصيف، والوحل والطين في الأيام المطيرة في الشتاء. والشارع الشرقي على الأخص يفتقر إلى الكثير من التجميل وذلك بتوسيعه وبناء (إفريز) ذي حاجز حجري يطل على بحر مويس على نمط بعض أرصفة القاهرة والمنصورة النيلية، أو على مثال إفريز ترعة الوادي المقابل للصاغة؛ فمثل هذا المشروع يكسب البلد رونقاً وجمالاً ويزيد في اجتذاب (المتريضين) ولاسيما إذا غرست الأشجار على جانبي هذا الشارع وزود الإفريز المقترح إنشاؤه بمقاعد حجرية ثابتة بين كل مرحلة وأخرى لراحة السائرين.

ولن أتعرض إلى حاجة البلد إلى إنشاء الميادين الواسعة والمراحيض والمرافق العامة والإكثار من الجسور فهندسة التنظيم على ما يبدو لي شارعة وجادة في هذا السبيل. والأمل عظيم في ألا ينقضي وقت طويل حتى نرى المدينة قد زودت بكل ما يلزمها من هذا القبيل.

ويجدر بي قبل أن أختم هذا المقال أن أوازن موازنة سطحية بين الزقازيق الحالية والزقازيق القديمة الناشئة التي سبق وصفها لاستخلاص مدى تقدمها أو مقدار تأخرها – أقول إن نتيجة الموازنة مع الأسف لا تسر حبيبًا إنما تسر عدوًا؛ فالمحالج والمطاحن ومصانع الثلج التي شاهدناها قد اندثرت جميعها ولم يبقَ منها إلا النزر اليسير الذي لا يستحق الذكر وهذا أسطع دليل على ركود الحالة التجارية بهذه المدينة الآن وحركة البناء والعمارة التي كانت تزداد يومًا بعد يوم قد توقفت لوقت طويل بدليل وجود الكثير من المنازل القديمة متهدمة، والأسواق ليست على حالة من الرواج محمودة بدليل كثرة المتعطلين من الشباب العمال. وقد يرجع ذلك إلى إغلاق آخر مصنع للدخان كان في هذه المدينة وكان يعمل به نحو أربعة آلاف عامل. وإذا استقصينا علة هذا الركود التجاري والمعماري وجدنا أنه يرجع إلى جملة عوامل أهمها، أولاً: انصراف موسري المدينة عنها للإقامة بالقاهرة. وثانيًا: إهمال بعض الأغنياء منهم بيوتهم إهمالاً أدى إلى تهدمها. وثالثًا: استيلاء بعض الأجانب على جزء كبير من الأملاك يستغلونها دون الاهتمام بإصلاحها وتجديدها. ورابعًا: وقوع الكثير من الملاك في براثن المرابين وطبيعي أن يعجزوا عن تعميرها وإصلاحها بل عن الاحتفاظ بها. والأمل كبير في أن تستعيد الزقازيق مجدها القديم ونشاطها الغابر، فقد بدأ فعلاً فن المعمار يبعث من مرقده وظهرت آثاره في القصور العظيمة التي استجدت بشارع المنتزه وعلى ضفاف بحر مويس. والظاهر أن ذلك يرجع إلى ازدياد عدد موظفي الحكومة بالمدينة نظرًا لإيجاد منطقة التعليم الخاصة بشرق الدلتا الجنوبية بها، فضلاً عن نقل قسم مشروعات الري إليها.



هرم خفرع

أيمن منصور

من هو خعفرع ؟

خعفرع هو رابع ملوك الأسرة الرابعة من الدولة القديمة، وهو ابن الملك خوفو، وتولى خعفرع العرش بعد أخيه «جد ف رع»، وذلك في ظروف غامضة غير معروفة، ولكن نعلم أن خعفرع قد تزوج من الأميرة «مر إس عنخ» الثالثة، وهي ابنة الأمير «كاوعب» ولي العهد القديم من زوجته «حتب حرس» الثانية، وذلك فيما يبدو ليضمن ولاء أسرة هذا الأمير، بالإضافة لتأكيد حقه في ولاية العرش.

حكم خعفرع

ذكر مانيتون أن الملك خعفرع حكم فترة حوالي ٦٦ عامًا، وهي فترة طويلة جدًّا ويصعب قبولها، ولكن معظم علماء الآثار الآن يعتقدون أن خعفرع حكم فترة قد تزيد عن فترة حكم أبيه خوفو بعامين، أي قد تصل فترة حكمه إلى ٢٥ عامًا أو تزيد قليلاً.

المجموعة الهرمية للملك خعفرع

وتعتبر المجموعة الهرمية للملك خعفرع أفضل مثال محفوظ على مر الزمن للمجموعات الهرمية، وهي أكمل المجموعات في جبانة الجيزة، وتتميز هذه المجموعة الهرمية بأن جميع أجزائها لازالت إلى حدٍّ ما باقية عكس كثير من المجموعات الهرمية الأخرى.

ولم يشيد خعفرع مجموعته الهرمية في أبي رواش مثلما فعل أخوه «جد ف رع»، بل فضل العودة إلى جبانة الجيزة، وذلك ليشيد مجموعته إلى جوار مجموعة أبيه الملك «خوفو»، وبعودة خعفرع لمنطقة الجيزة أعاد لها أهميتها، وظلت هذه المنطقة هي الجبانة الملكية لفترة من بعده.

تمثال الملك خعفرع



